الثورة
الأحد 12 ذو الحجه 1433هـ 28 أكتوبر 2012م العدد (17511)

العمل في الاسلام مطلوب لذاته

د . عبدالله النجار

وأن تكون حياته معصومة، وحرماته مصونة، وهو لم يعط كل ذلك لمجرد وجود العقل، وإنما لأن العقل يمثل طاقة الإبداع فيه، وبه يستطيع أن يعمل عملاً نافعاً في حياته، وأن يتعاون مع الآخرين من أجل صناعة الحضارة وتحقيق الرخاء، فإذا قعد الإنسان عن العمل يكون قد ضيّع الثمرة التي من أجلها وهبه الله نعمة العقل، وألحق نفسه بالأشياء المهملة .

ويبدو من القراءة المتأنية للآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة التي تحدثت عن العمل، أنه مطلوب لذاته، وبصرف النظر عما يدره من عائد مادي للعامل، فالقادرون على العمل يجب عليهم أن يعملوا، حتى لو كان العمل لا يحقق لهم المستوى المادي الذي يرجونه .

كما يجب على القادرين على العمل أن يعملوا حتى لو كان لديهم فائض مادي يكفي معيشتهم ويقضي حوائجهم، وفي الموروثات الثقافية المقبولة اشتهر عن اليد العاطلة عن العمل قصداً مع قدرتها عليه: أنها نجسة، ومفاد ذلك أن العمل يطهر اليد ويكرم الإنسان ويسمو بالحياة، ويدرك هذا المعنى من يتأمل قول الله تعالى: »وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ«، فقد طلب الله العمل أولا بالأمر الدال على الوجوب، وإذا كان الأمر بالعمل صادراً من الله عز وجل فإنه لا بد أن يكون عملاً نافعاً، وفي مجال من المجالات التي تعود بالخير على الإنسان في دينه ودنياه، ويكون العمل الفاسد الذي يتضمن شراً بالنفس وبالناس وبالمرافق العامة أو بالكائنات النافعة مرفوضا وممنوعاً، ومنهياً عنه بدلالة الآية الكريمة، لأن الله لا يأمر إلا بما هو خير ونافع للإنسان في دنياه وآخرته .

وبعد أن بيّنت الآية الكريمة في مستهلها أن العمل مطلوب لله على هذا النحو، رتبت عليه أثره، والثمرة المرجوة منه التي تستفاد من إسناد رؤية العمل لله ولرسوله، وللمؤمنين، فقد جاءت تلك الثمرة متأخرة في طلبها عن طلب العمل، وهذا يفيد بأنه مقدم في الطلب لذاته، كما أفادت بأن الله يرى العامل، وأن رسوله يراه، وأن المؤمنين يرونه، وتوزيع الرؤية على تلك المستويات مرتب ومقصود، لأن رؤية الله العمل في أول ثمرة ترجى منه، فيه حض للعامل على أن يحسن عمله، وأن يتقي الله فيه، وأن يؤديه بالذمة والأمانة حتى لا يراه الله في مواطن يكرهها، ورؤية رسول الله تفيد بأن هذا العمل لا بد أن يكون مستقى من هدي شرعه، وقائماً على مبادئ سنته، حتى لا يظلم أرباب الأعمال عمالهم، أو يخدع العمال أصحاب العمل بأعمال زائفة لا توافق المستوى المطلوب، ورؤية الله ورؤية رسوله سبب لما يناله من الثواب الأخروي والبركة الدنيوية، والثواب والبركة ليسا من العوائد المادية التي يتقاضاها العامل .

ومن ثم لم يكن لذلك من الاعتبار المقصود إلا عند من يرجون رضا ربهم من العاملين الصادقين الذين لا يبيعون الدنيا بالآخرة ولا يشترون العاجلة بالآجلة، ثم يجيء في النهاية ما يرجى من الأجر العاجل، وهو المستفاد من رؤية المؤمنين، فإن رؤيتهم العامل المخلص في عمله، وإن كانت تثمر شهرة ورضا عنه، إلا أن كل ذلك سوف يصب في النهاية لمصلحة العائد المادي من العمل، ولهذا كان هو المستفيد من تلك الرؤية، وقد جاء في مؤخرة الثمار المرجوة من العمل ليفيد بأن مرتبة العائد المادي لا يجوز أن تطغى على القيام بالعمل على نحو يرضي الله ورسوله، وأن ذلك العائد إذا كان بخساً في نظر العامل، فحسبه ثواب ربه، ومن ثم تستمر مسيرة الحياة .

× عضو مجمع البحوث بالأزهر

الاسلام يلزم أتباعه بالرحمة مع الحيوان برفق وإحسان ذبحها

■ يتصرف بعض الناس مع الأضحية بشكل غير إنساني ويتركون الحيوان الذي سيضحون به لأطفالهم يلهون به منذ شرائه وحتى يوم العيد وعندما يأتي وقت الذبح يتعامل البعض مع الحيوان، خاصة إذا ما كان قويا بقسوة، وفي بعض البلاد العربية يتم ذبح الأضحية في الشارع أمام جمع من الأطفال والمارة الذين يقفون للفرجة، وكل هذه سلوكات مرفوضة شرعاً ويستغلها دعاة الرفق بالحيوان في الغرب لتشويه صورة الإسلام والمسلمين وإظهارهم في شكل غير حضاري، فضلا عن التشكيك في أحكام الشريعة الإسلامية التي حثت المسلمين على ذبح هذا العدد الضخم من الحيوانات في عيد الأضحى .

تقول د . آمنة نصير الداعية الشهيرة والأستاذة بجامعة الأزهر: هذه سلوكات مرفوضة ينبغي أن يكف عنها المسلم الحريص على أن يؤدي سنة الأضحية وجني أجرها وثوابها، كما ينبغي على الجميع أن يعلم أن الإسلام فرض على المسلمين الرحمة في التعامل مع المخلوقات الضعيفة خاصة الحيوانات الأليفة . مثل الأصناف التي نضحي بها .

الرفق بالحيوان

وتضيف: لقد ألزمتنا شريعتنا الإسلامية بأدب التعامل مع الحيوانات، خاصة ما يستأنس منها ويملكه الناس ويستخدمونه مثل: الأنعام، والخيل، والبغال، والحمير، والدواجن، وغيرها من الطيور وما لا يملك منها مثل القطط والكلاب .

وقد جاءت أحاديث عديدة تحث على الرفق بالحيوان وتحذر من القسوة في التعامل معه، ومن بين هذه الأحاديث: »عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت لا هي أطعمتها وسقتها، إذ هي حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض«، و»الخشاش«: حشرات الأرض ونحوها، وحديث: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعير قد لصق بطنه فقال: »اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة«، وحديث: »في كل كبد رطبة أجر« . وحديث: »إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته« .

وفي الحديث أن ابن عمر رضي الله عنه مر بفتيان من قريش قد نصبوا طيرا أو دجاجة يترامونها، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من نبلهم، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا، فقال ابن عمر: »من فعل هذا؟ لعن الله من فعل هذا، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا« . كما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحريش بين البهائم كما يفعل بعض القساة الذين يثيرون الحيوانات بعضها على بعض، فتتناطح وتتنافر، حتى يسيل الدم منها، وهم يضحكون . كما يحدث في مصارعة الثيران أو الديوك بل نهى رسول صلى الله عليه وسلم عن الضرب في الوجه، وعن الوسم (أي الكي) في الوجه للحمار وغيره من البهائم .

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بحمار عليه طوب لبن، فرفع عنه طوبتين، فأتت سيدته (مالكته) لعمر فقالت: يا عمر مالك ولحماري؟ ألك عليه سلطان؟ قال: فما يقعدني في هذا الموضع؟

فقد فعل عمر ذلك من باب الرحمة الواجبة على كل إنسان تجاه حيوان يعاني قسوة صاحبه ومن شعوره بالمسؤولية وإدراكه لمعنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: »كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع، وهو مسؤول عن رعيته . « .

وروي أيضاً أن عمر رأى رجلاً يسحب شاة من رجلها ليذبحها فقال: »ويلك، قدها إلى الموت قوداً جميلاً« .

كما روي أن عمر ضرب حمالا وقال له: »لم تحمل بعيرك ما لا يطيق؟« .

كتاب النفقات

وحول عناية الشريعة الإسلامية بحقوق الحيوان على صاحبه يقول د . صبري عبد الرؤوف أستاذ الفقه المقارن بجامعة الأزهر: كتب الفقه زاخرة بالعديد من التفاصيل في هذا الأمر، فقد تحدث الفقهاء وجعلوا على مالك الدابة النفقة والرعاية في »كتاب النفقات« وهو من كتب الفقه، كما فصلوا ما يجب على الإنسان نحو الكلاب والطيور ونحوها، تفصيلا لم يخطر ببال أحد من البشر في تلك العصور، والدافع إلى هذا كله دافع أخلاقي محض، وهو رفع الظلم والأذى والضرر عن كائن حي ذي كبد رطبة، يحس ويشعر ويتألم وإن لم يكن له لسان يتكلم به ويشكو .

ومن هذا التفصيل، نراهم يحددون متى يجوز ضرب الدابة؟ وأين تضرب؟ وبم تضرب؟ وكيف تضرب؟ ويقولون: لا تضرب في الوجه، ولا تضرب بحديدة أو بمقرعة في أسفلها حديدة .

كما يحرم لعنها أي البهيمة لما روي عن عمر: أنه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فلعنت امرأة ناقة فقال: »خذوا ما عليها ودعوها، فإنها ملعونة«، فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد .

وقوله: »لا تصحبنا ناقة عليها لعنة الله«، وفى حديث أبي الدرداء قال: »لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة«

ويحرم تحميلها البهيمة ما يشق عليها لأنه تعذيب لها .

ويحرم حلبها إذا كان الحلب يضر ولدها: لأن لبنها مخلوق له ويسن للحلاب أن يقص أظافره، لئلا يجرح الضرع .

ويحرم ضرب وجه الحيوان وكيه، لأنه عليه الصلاة والسلام لعن من ضرب أو وسم الوجه، ونهى عنه، ويكره إطعامه فوق طاقته وإجباره على الأكل، كما يفعل الناس عادة لأجل التسمين .

ويجب على مقتني الكلب المباح أن يطعمه ويسقيه أو يرسله لأن عدم ذلك تعذيب له، ولا يحل حبس صنف من البهائم لتهلك جوعا أو عطشا، لأن في ذلك تعذيباً لها . وبهذا تتأكد لنا روعة الأحكام الخاصة بالرفق بالحيوان، ورعاية المسلمين لها، واهتمام فقهائهم بها وسبقها بقرون طويلة كل جمعيات الرفق بالحيوان التي تكاثرت في دول لا تحمي حقوق الإنسان ولا تكترث بمصالح المسلمين ودمائهم وأموالهم وأرضهم ومصالحهم .

شروط الذبح

ويتعجب الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الأسبق وعضو مجمع البحوث الإسلامية من الجمعيات الغربية المعنية بالرفق بالحيوان والتي تتطاول على الإسلام والمسلمين بسبب أداء هذه الشعيرة الإسلامية، حيث يرددون أن المسلمين يهدرون حقوق الحيوان في عيد الأضحى المبارك ويقول: التعامل مع الحيوان بقسوة أمر ترفضه شريعة الإسلام وتدين سلوك كل مسلم يفعل ذلك حتى وهو يقوم بذبح أضحيته، ولذلك جاءت توجيهات الفقهاء بضرورة توافر شروط معينة عند الذبح، فلا بد أن يكون الذبح بآلة حادة حتى لا يتألم الحيوان، وأن يسرع الذابح عند الذبح، وأن يحد شفرة الذبح بعيدا عن الحيوان، حيث يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا أضجع شاة يريد أن يذبحها وهو يحد شفرته، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: »أتريد أن تميتها موتتين؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تذبحها؟« .

ومن مظاهر الرفق بالذبيحة قبل ذبحها ما أورده الفقهاء في كتب الفقه من ضرورة سوق الذبيحة إلى المذبح برفق، وعرض الماء على الذبيحة قبل ذبحها، وعدم المبالغة في القطع حتى يبلغ الذابح النخاع، أو يفصل رأس الذبيحة حال ذبحها، وكذلك بعد الذبح، وقبل أن تبرد، وكذلك سلخها قبل أن تبرد، لما في ذلك من إيلام لا حاجة إليه .

هذا وغيره مما قال به فقهاء الإسلام في مسألة الذبح يؤكد رفق الإسلام بالحيوان في كل حالاته حتى وهو يذبح، ولذلك فأمر الأضحية لا يحتاج مزايدة من الغربيين الذين تذبح قواتهم العسكرية البشر في بقاع كثيرة من العالم ويستحلون لأنفسهم دماء البشر ويفعلون بنا نحن المسلمين ما يريدون من دون رحمة أو شفقة أو رفق!!

الأسرة.. الخلية الأولى

ماهر سقا أميني

الأسرة هي الخلية الأولى للحياة الانسانية ذات المعنى، وقد رسم الإسلام ملامح هذه الخلية من حيث قيام العلاقة بين الرجل والمرأة على السكن والمودة والرحمة، ومن حيث قيام العلاقة بين الأجيال (الآباء والأبناء) على البر المتبادل، وقد حصن هذه المعاني الجميلة والفاعلة اجتماعياً وحضارياً بجملة من التشريعات والأحكام والترغيب والترهيب بحيث يكفل الضمير من جهة والسلطة الخارجية من جهة أخرى عدم اضطراب هذه الخلية أو المساس بصحتها وأمنها، ولا تزال الأسرة هي الحصن الحصين للحياة الاجتماعية والأخلاقية وللصحة النفسية الفردية والاجتماعية في المجتمعات الإسلامية على الرغم من العواصف التي تعصف بها من الشرق والغرب في حين تعاني مجتمعات أخرى اضطرابات وزلازل اجتماعية خطرة نتيجة إعادة النظر والترتيب والهيكلة لشكل الأسرة ومعاني وجودها ومبرراته .

لقد لاحظ العلماء أنه ما من قوة ولا سلطة يمكن لها أن تغير في مجتمع ما ما لم تتغير الأسرة وملامحها وطبيعة العلاقات فيها، وهذا يعني أن الأسرة هي أداة التغيير الاجتماعي للأفضل أو للأسوأ، فحتى الثورات أو الأفكار أو قرارات السلطات لا يمكنها أن تغير ملامح الحياة الاجتماعية والأخلاقية ما لم تغير أولا في تركيب العائلة والمعاني الحافة به، وفي المجتمعات الإسلامية وعلى الرغم من مقاومة الأسرة بنموذجها الإسلامي، فإننا نشهد حجماً كبيراً من الهجوم على شكلها ومبررات وجودها وطبيعة العلاقات القائمة بين أفرادها من قبل الإعلام ووسائله المختلفة والثقافات العابرة عبر وسائل »الميديا«، فضلاً عن التنظير الذي يتقنع أحياناً بمفاهيم ملتبسة لحقوق الإنسان وحقوق المرأة والطفل .

وإذا كان مفهوم العلاقة بين الذكر والأنثى في الإسلام قائماً على السكن والمودة والرحمة والتكامل في أداء الوظائف والأدوار، فإن هذا المفهوم في الحضارة الغربية يقوم على التنافس والصراع وتنازع الأدوار والحقوق والمكتسبات، وقد انعكس هذا التنافس والصراع في موجة كبيرة من العنف الأسري البارد (شأنه شأن الحرب الباردة) والشرس مما يراد نقله وتعميمه على جميع المجتمعات البشرية، ومن جهة أخرى تقوم حياة المسلم بشكل عام وفي صلته بأسرته بشكل خاص على مفاهيم الالتزام في حين أن الحرية بمفاهيم غير منضبطة تمثل هاجس حياة الفرد في الغرب، وإذا كان المنظرون التغريبيون يتعاملون على مستوى النخب، فإن الثقافات العابرة والوافدة عبر الإعلام تحاول منذ أكثر من مئة عام أن تعيد فك وتركيب الأسرة في العالم العربي والإسلامي لتدخل فيها معاني الصراع والتنافس وتنازع الأدوار والحريات المؤذية للحمة الأسرة والمجتمع بشكل عام، واليوم وفي عدد من البلاد العربية التي يمثل فيها المسلمون أغلبية يعاد النظر في أحقية الشريعة الإسلامية بما تمثله من قيم ومبادئ وأحكام في تنظيم أمور الحياة، والمسألة لا تتصل بمجرد أحكام أوقوانين عقوبات كما يتخيل البعض وإنما هي مسألة فلسفة عامة، إن صح التعبير، أو تصور عام أو مبادئ كبرى تحكم حياة الناس والمجتمعات .

من جهة أخرى، نرى أن الرباط الأسري في الإسلام هو (ميثاق غليظ) يستحق أن يساس بحكمة، وأن تبذل فيه الجهود، وتساق فيه التضحيات لأغراض عليا، في حين أن هذا الرباط في الغرب هو أقل من أن يقدر بهذه الطريقة بحيث يمكن أن تغلب عليه أية نزعة أنانية طارئة، وهذا المستوى من التهافت تم نقله إلينا عبر الإعلام وغيره بحيث يمكن القول إن الأسرة باتت مهددة في كثير من الحالات بخطر الأهواء و(النفس القصير) .

إن مفاهيم كثيرة يتم تسريبها إلى المجتمعات الإسلامية يمكن لها أن تقوض بناء الأسرة، وهي كما رأينا الحصن الذي حمى الأمة حتى الآن من انهيارات حقيقية، وأداة التغيير التي تتوجه إليها الأنظار لإعادة هيكلة المجتمعات بكاملها .

يرى علي عزت بيجوفيتش أن المفهوم الإسلامي لقصة الأسرة الأولى (آدم عليه السلام وحواء) في حياة البشرية، من حياة في الجنة فهبوط فريد إلى الأرض ووعد بالعودة إلى الجنة، يشير إلى قداسة تكوين الأسرة وكونها في جزء منها تعيش على الأرض وفي جزء آخر في (الميتافيزيقا)، وهذه القداسة لا تصل إلى حد إلغاء إمكان الفراق عندما يكون ضرورة، في حين أن الأسرة في العالم الغربي المعاصر أقل من ذلك بكثير .

بين دار ودار

اسماعيل صبري (أبو أمامة)

ما الحياة الدنيا سوى دار لهو
تتقضى متى توارى الضِّياءُ
أو كسوق قد هددت بانفضاض
سوف ينفض بيعها والشراء
رابحات قوى الفطانة فيها
خاسرات من جهلها الأغبياء
يُنْقَلُ الناسُ من حياة لأخرى
قدر أعمالهم يكون الجزاء
خلق الموت بين دار ودار
ضُجْعَةً بعدها يكون الثواء
فهو باب يجتازه كل حي
وهو كأس فيه البرايا سواء
أيها الناس إن هذي لذكرى
وعظات جاءت بها الأنبياء
أتريدون بعد هذا بلاغاً
فصلته الشرائع السمحاء؟
أين من عمروا وشادوا وسادوا؟
أين عمرانهم وأين البناء؟